

(يناير ٢٠٠٤م) : بحوث في التربية الفنية والفنون، م١٠، ع١٠، ص(١١٣- ١٢٨)

**مدى إمكانية تطبيق التعلم عن بعد في مجالات  
تدريس الفنون التشكيلية وإسهامه في  
تنمية ذاتية المتعلم**

إعداد

د. عبد الله عيسى الحداد

أستاذ مشارك - كلية التربية الأساسية - قسم التربية الفنية

### المقدمة:

أن التغييرات الثقافية والتربوية في وقتنا الحالي تجعل من الاتصال المباشر بين المتعلم والمعلم من الأمور التي تتحدر تحت الأعمال الشاقة ، وذلك لمل عليها من ضغوط كثيرة وكبيرة سواء كانت على المعلم أو المتعلم أو على الأسرة أو المدرسة أو المجتمع الكبير.

إن هذه الضغوطات وليدة التطور والنمو المطرد للمجتمعات، حيث النمو السكاني تجاوز المعقول في بعض البلدان النامية مضاف إليها بعد المسافات بين الدول المتقدمة والدول النامية وإرهاق ميزانيات الدول النامية في التعليم أضف إلى ذلك السرعة الرهيبة في تصدير العلوم والمعارف والمعلومات بشكل شبه دائم يعجز الإنسان في بعض الأحيان من متابعته بالسرعة التي تناسبه، لهذا يستعاض بالتكنولوجيا الحديثة.

إن العصر الحالي لا يحتمل الجلوس على طاولة الدراسة ومناقشة ما يتلقاه المتعلم وجها لوجه و لأنه لا المعلم لديه الوقت الكافي ولا المتعلم لديه أيضا، وذلك لعدة عوامل وأسباب مختلفة ومتنوعة أدت إلى تأثر المخرجات للتعليم العام والفائدة والجدوى منه بهذه الكيفية.

والفنون التشكيلية أحد روافد التعليم العام، والتعليم الجامعي والعالي والمعاهد المختلفة فمناهج تلك النظم التعليمية عبارة عن مواد ذات صبغة نظرية ومراد ذات صبغة تطبيقية وعملية لها خصوصية تختلف في موقعها عن المجالات النظرية والتي تعتمد على الكتب والمراجع والكتاب المدرسي خاصة إن اختلاف واضح بين المجالات التعليمية النظري منها والعملية، والتي يصبح معها التعليم والتدريب في غاية الصعوبة بدون الاتصال المباشر بين الدارس والمدرس والتدريب والمدرّب والمتعلم والمعلم.

(١١٥)

### مشكلة البحث:

تمكن مشكلة البحث في محاولتنا التغلب على الضغوطات التي نواجهها كمعلمين وكطلبة في دراستنا لمجالات فنية أكاديمية علمية وذلك بسبب النقص في السعة المكانية والأداء الأكاديمي والتقنيات المختلفة، سواء كانت خدمات وأدوات عمل أو تقنيات تربوية والتي يتصف بها النظام التعليمي الحالي، سواء على مستوى النظام التعليمي العام أو الجامعي بمستوياته... بالإضافة إلى محاولتنا الدخول إلى الأنظمة التعليمية المتطورة وغير المكلفة والتي لا ترهق الميزانية العامة للدولة ومحولة علاج حالات الهدر الهائل في التعليم مع الاندماج في تطبيقات التوجهات العالمية الحديثة بعولمة التعليم.

### أهمية البحث

تأتي أهمية هذه الدراسة في ابرز الجوانب الايجابية والجوانب السلبية للتعليم عن بعد مع إمكانية تطبيقه على جميع المجالات الأكاديمية بما فيها التطبيقية والعملية  
أسئلة البحث.

- ١- ما الفوائد من تغيير النظام التعليمي الحالي إلى نظام عالمي؟
- ٢- كيف سيؤثر التعليم عن بعد في تنمية ذاته المتعلم؟
- ٣- كيف سيعمل معلمو المجالات التطبيقية بأسلوب التعليم عن بعد؟

(١١٦)

ساهم التطور السريع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة على توظيفها في النظم التعليمية، مما أدى إلى زيادة كفاءة أشكال التعليم ، ويمكن التفريق بين التعليم عن بعد كبديل للتعليم التقليدي . وقد أصبح التعليم عن بعد وتعدد القنوات التعليمية عنصرين مهمين وأساسيين ومتمايين في منظومة التعليم المتكامل في المجتمعات الحديثة .

يقوم التعليم عن بعد على عدم اشتراط الوجود المتزامن المتعلم مع المعلم في الموقع نفسه. وبهذا يفقد كل من المعلم والمتعلم خبرة التعامل المباشر مع الطرف الآخر. ومن ثم تنشأ الضرر وره لان يقوم بين المعلم والمتعلم وسيط. للوسيط هذا شروط وجوانب تكنولوجية وبشرية وتنظيمية ، كما يمكن التعليم عند بعد من اختيار وقت التعلم بما يتناسب وظروفه ،دون التقيد بجدول زمني منتظم ماعدا شروط التنظيمية . في النهاية يشمل هذا الوضع غياب القراء بالمفهوم التقليدي... ولكن ذلك لا يمكن أن يقوم نظام فعال من التعليم عن بعد في غياب تواصل قوي ومتبادل بين المعلم والمتعلم عن بعد. وهذا الغياب للتواصل يعني تدهور التعليم عن بعد.

في البداية كان التعليم عن بعد يعني التعليم بالمراسلة بمعنى أن الوسيلة والوسيط الخدمات البريدية بين المعلم والمتعلم. ولكن وضع التعليم عن بعد الآن مختلف فقد تم توظيف التقنيات وفرت أساليب نقل النصوص والصور والحركة والخبرة الحسية من خلال أساليب الحقيقة الظاهرية كأساليب الاتصال تبرز أحيانا ما يوفره أكفأ المعلمين في قاعات التدريس العادية.

(١١٧)

و بما أن التعليم بوجه عام يمثل وظيفة أساسية في المجتمعات البشرية كان لزاما أن يتغير أشكال التعليم بوجه عام، وتتطور مع تطور تكنولوجيا التعليم...

لكل نوع من التعليم عن بعد، وسائل ووسائط تكنولوجية مناسبة وملئمة عن غيرها، فالراديو يساعد على إثارة الخيال، والتلفزيون فعال في التعامل مع الأحداث المركبة والكمبيوترات تناسب و تلائم اكتساب المهارات الناحية عن التكرار والممارسة والتفاعل. لذلك فان تعدد الوسائل التكنولوجية توفر مجالات واسعة لإثراء العملية التعليمية. وكذلك يتكيف استخدام هذه الوسائل بطور المجتمع الذي تقوم فيه سواء من حيث الوفرة أو النوعية أو كفاءة الاستخدام.

من حيث الأهمية فان استخدام التعليم عن بعد الوسائل المتنوعة والتركيز على أي واحد منها وفي أي مجتمع من المجتمعات معتمد على التشكيلية التكنولوجية القائمة فيه وبمقوماتها المجتمعية بما في ذلك البنية الأساسية والتنظيمية. ووان استخدام الأشكال الأكثر فاعلية من التعليم عن بعد هو الكمبيوتر والشبكات المؤثرة على نوعية التعليم، حيث تكون نسبيا حتى في مجتمعات المتقدمة. وهذه النوعيات من الوسائل التكنولوجية أكثر تواجد وأكثر كلفة والأكثر في الحاجة لبنية تحتية مكلفة... وبطبيعة الحال البلاد النامية متأخرة بالنسبة لهذه الإمكانيات. وكذلك توفر وسائل الاتصال الحديثة في تلك البلدان النامية مع حداثة وسليته الاتصال وارتفاع أسعارها مثل التلفون والفاكس والكمبيوتر والانترنت كلما زادت فاعليتها في تعليم الذاتي عن بعد.

(١١٨)

إن الحاجة ملحة إلى التعليم عن بعد فهو يساهم في حل مشكلات الاستبعاد من التعليم التقليدي، سواء فيما يتصل بالتعليم قبل المدرسي أو استبعاد البنات والنساء والمناطق النائية والفئات الفقيرة من مراحل التعليم الأعلى. و صار من التهميه أن تستغل أساليب التعليم عن بعد في مكافحة تردي النوعية في التعليم التقليدي، ويمكن أن تساعد أساليب التعليم عن بعد في التغلب على ندرة المعلمين، خاصة في المناطق النائية والفقير فيها.

ولكن لتعليم عن بعد ميزتان لهما علة وثيقة سواء كانت ايجابية أو سلبية وهما :

١- يساعد التعليم الذاتي عن بعد في تنمية الاختيارية بين الفئات الاجتماعية وخصوصا القادرين ماديين منهم في التعليم الأرقى نوعيه ، بحيث يصبح التعليم اده للتفاوت الطبقي الاجتماعي بدلا من وظيفته الأساسية ، وهي التقليل من الفوارق الاجتماعية .

٢- أما من الناحية العالمية ، فتتطوي عمليه العولمة على أنماط مباشرة وأخرى مقنعة من التعليم عن بعد من خارج نظام التعليم والتنشئة الوطنية . فالتزايد بالاستقبال اللغات والثقافات الغربية بأوسع المعاني يوتر بخطورة على رسالة التعليم في المجتمع العربي . ومع ذلك بات ضروريا دخول معترك التعليم عن بعد باعتباره مجالا حيويا للتعلم على صعيد العالمية ولم يعد من الممكن تجاهله .

إن عمليه نجاح التعليم عن بعد مشروط بعدة جوانب فالمجتمعات منبهرة به وذلك للاستخدامات المختلفة للتقنيات الحديثة وكأنها حلول سحرية تساعد على حل

(١١٩)

المشاكل التعليمية.... ولكن الحقيقة أن التعلم عن بعد يواجه الكثير من المشاكل وتزايد في البلدان النامية ... حيث أن التعلم عن بعد ليس قائماً بذاته ولكنه جزء من المنظومة التعليمية المتكاملة، هذا ما يجب أن ينظر إليه.

وقد أوضح بعض المربين الغربيين أن بعض برامج التعليم عن بعد يمكن أن تنتج نوعية أعلى من التعليم ، خاصة التعليم العالي وذلك بسبب تحمل المتعلم المسؤولية والاشتراك الأكثر فاعلية للمتعلمين في العملية التعليمية. وغياب الحواجز النفسية للتعبير بين المجموعة، وغيره من المبررات. ولكن ليس هناك دليل حتمي على أن التعليم عن بعد أفضل من التعليم التقليدي من منظور النوعية. ولكن على العكس فهناك دليل قوي على أن برامج التعليم عن بعد تعاني معاملا انقطاع أعلى من التعليم التقليدي (الانقطاع الدراسي) ، وهذا أمر متوقعا بناء على ظروف الأغلبية المنتسبين إلى التعليم عن بعد والتي أدت إلى حرمانهم من التعليم التقليدي.

وفي حقيقة أن التعليم عن بعد يمكن أن ينجرف إلى نفس المشاكل التي يقع فيها التعليم التقليدي وهي مشاكل التلقين، والاستظهار، والإرجاع، وبالإمكان أن تكون أكثر شدة بسبب استخدامه للأجهزة الجامدة بين المعلم والمتعلم. من ثم فتطوير المجالات التعليمية الممتعة والمشوقة والفعالة في التعليم عن بعد مثل المواد التطبيقية والعملية أمر صعب ومركب... لأنه يجب أن يتم من خلال فرق متكاملة تضم تربويين وخبراء في الموضوعات والتقنيات ووسائل الاتصال المستخدمة، وفنانين وغيرهم، ويجب أن يقوم إنتاج المواد التعليمية على تبني نموذج "البحث، التطوير، التقييم، المراجعة" باستمرار.

(١٢٠)

ويمكننا القول بأن البرامج الفعالة للتعليم عن بعد هي التي تقوم على التخطيط السليم والفهم المرتكز على متطلبات المساق الدراسي وحاجات الطلاب. فلا يتم اختيار التكنولوجيا المناسبة إلا بعد التحقق من الفهم التفصيلي لتلك العناصر. فليس هناك لبس في الكيفية التي تتطور بها برامج التعليم الفعال عن بعد حيث لا يتم ذلك بشكل ارتجالي، وإنما من خلال العمل والجهود للعديد من الأفراد و المؤسسات.

إن قيام التعليم عن بعد يعتمد في نجاحه تعاون وتضافر الجهود لأطراف متعددة وتتنوع أدوارها. أن توفير الحاجات التعليمية للطلبة هو الهدف الأساسي لجميع البرامج الفعالة للتعليم عن بعد. وهو المقياس الذي يتم على أساس تقييم كل جهد يبذل. وإن نجاح أي جهود للتعليم عن بعد تقع على عاتق الهيئة التدريسية، ففي نظام التعليم التقليدي لغرفة الصف، تشتمل مسؤولية المدرس على تنظيم محتويات الحلقة الدراسية وفهم أفضل حاجات الطلاب، ولكن معلم التعليم عن بعد عليه أن يقوم بتجهيز نفسه بما يلي:

- أن يطور فهما عمليا حول صفات واحتياجات المتعلمين عن بعد في ضل غياب الاتصال المباشر.
- أن يتبع مهارات تدريسية تأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات والتوقعات المتنوعة والمتباينة للمتلقى.
- أن يطور فهما عمليا لتكنولوجيا التوصيل، مع استمرار تركيزه على الدور التعليمي له .
- أن يعمل كمرشد وموجه ذكي للمحتوى التعليمي.

(١٢١)

ولكن في سياق هذا السرد ناهي الفروقات بين التعليم عن بعد وبين التعليم التقليدي في المدارس العادية ؟ يعتمد المعلمون في المدارس العادية على عدد من ردود الأفعال التلقائية لدعم توصيل المحتوى العلمي . فمن خلال ملاحظة المعلم الفاحصة يمكن التعرف على الطلبة الذين يسجلون ويدونون المعلومات ، أو الذين لديهم مشاكل في الفهم أو يريدون الاستفسار أو التعليق وكذلك ملاحظة الحالات النفسية للتلاميذ . وهكذا فالمدرس الناجح بطبيعته يقوم بتلقي وتحليل الإشارات سواء بعقله الواعي أو الواعي ليقوم بإيصال المعلومات المناسبة بأسلوب يتناسب وحاجات الصف خلال دروس معينة . وعلى العكس فإن المعلم في نظام التعليم عن بعد ، لتتوفر لديه أي إشارات مبنية على الملاحظة ، إلا أن يمكن أن يتوفر له ذلك من خلال وسائل تكنولوجية ، مثل شاشات الصورة والصوت ، فمن الصعب التوصل إلى إقامة حوار بناء بين المعلم والمتعلم عند تشويه التفاعل التلقائي بسبب المسافة والمتطلبات التقنية . وكذلك لا يستطيع المدرس عن بعد تلقي إي معلومة عن طريق الملاحظة البصرية دون استخدام الوسائل المرئية الحية مثل التلفاز فهو غير قادر على معرفة إن كان الطلاب نائمين أو يتحدثون مع بعضهم البعض ، أو حتى إذا كانوا موجودين في الغرفة . إن التواجد في مجتمعات متباينة أو مواقع جغرافية مختلفة ، أو حتى في دول مختلفة يحرم كل من المعلم والمتعلم من الترابط المشترك ولكن مع كل هذه السلبيات لماذا يتم التعليم عن بعد ؟... يرى الكثير من المعلمين إن الفرصة التي يوفرها مجال التعليم عن بعد أهم وأكبر من تلك السلبيات ، حيث إن الترتيبات الدقيقة المطلوبة لتعلم عن بعد تحسن مهاراتهم التدريسية

(١٢٢)

بشكل عام ومن نمط مشاعرهم نحو طلابهم ، وهكذا إن التحديات التي يفرضها نظام التعليم عن بعد تقابلها الفرص للوصول إلى مجموعة أكبر من الطلبة . وتلبية لحاجاتهم الطلبة الغير القادرين على حضور الحلقات الدراسية الصيفية . وإقامة حلقة وصل بين الطلبة من مناطق اجتماعية وحضارية واقتصادية مختلفة . كذلك دلت الأبحاث على إن الو سيله التعليمية المستخدمة لها تأثير

- بسيط على تحصيل الطالب طالما كانت تقنية التوصيل مناسبة للمضمون الذي يتم تقديمه، مثل الفيديو التفاعلي ، مقارنة بالفيديو العادي ومقارنة بالمعلم العادي ومن النتائج التي تم الحصول عليها من تلك الأبحاث ما يلي :
- نسبة التحصيل في عدة امتحانات أجريت بإشراف مباشر للمدرس كانت أعلى منها في نظام التعليم عن بعد مقارنة مع النظام التقليدي . ( سودير ١٩٩٣ ) .
  - لم يلاحظ أي اختلاف في النظرة الايجابية تجاه مواضيع المادة بين نظام التعليم عن بعد والتعليم التقليدي . ( مارتن ورينيج ١٩٩٣ )
  - يلاحظ التعليم التقليدي أكثر تنظيماً ويقدم بطريقة أوضح مقارنة مع نظام التعليم عن بعد . ( ايثال ايجن ١٩٩١ ) .
  - الإجراءات التنظيمية والأفكار اللازمة للتدريس بشكل فعال عن بعد كثيراً ما تعمل على تحسين أسلوب التعليم التقليدي للمعلم .

(١٢٣)

- الأبحاث المستقبلية يجب أن تركز على العامل الحاسم في تحديد تحصيل الطالب ، وتصميم عملية التدريس نفسها . ( وايتجتن ١٩٨٧ )

من هنا نستطيع القول ، لماذا يكون الطلاب في نظام التعليم عن بعد ناجحين ؟ . دلت الدراسات إن الطلاب في نظام التعليم عن بعد يستفيدون من الخصائص الأساسية لهم من خلال استخدامها للخبرة التعليمية ، وهذا يؤثر على نجاحهم في الأعمال الصيفية . إن طلاب نظام التعليم عن بعد يبحثون عن تعليم إضافي ، فهم :

- ١ . لديهم طموحات المتابعة الدراسية بعد الثانوية للحصول على درجات عالية .
- ٢ . لديهم حافز قوي وانضباط ذاتي .
- ٣ . وهم اكبر سناً ونضوجاً .

وكذلك في دراسات أخرى بينت إن العوامل التي تحدد التعليم الناجح هي نفسها سواء كان الطلاب في نظام التعليم عن بعد أو في نظام التعليم التقليدي وهذه العوامل تشمل على :

- ١ . الرغبة في المبادرة بالاتصال بالمدرسين للحصول على المساعدة .
- ٢ . امتلاك موقف جدي اكبر نحو المواد .
- ٣ . العمل في مجالات يتطلب فيها التطور الوظيفي الحصول على شهادات أكاديمية متقدمة في بيئة التعليم المستمر .
- ٤ . الحصول السابق على شهادة جامعية .

(١٢٤)

إن الممارسات التي يقوم بها المعلم في التعليم عن بعد هي نفسها ممارسات التعليم التقليدي ، كما إن العوامل التي تؤثر على التدريس الجيد تكون عالمية ولا تخضع لاختلاف البيئة أو السكان . ولأن التعليم عن بعد وما يلازمه من تقنيات يتطلب تخطيطاً وتحضراً مكثفاً ، فإنه يتوجب على المعلمين عن بعد إن يراعوا الاعتبارات التالية وذلك لتحسين فعاليتهم :

- التخطيط التمهيدي المكثف والتقييم المستنبت يعدان من الأمور الضرورية .
- يستفيد المتعلمون كثيراً من مخطط المنهج الدراسي المنظم جيداً ، وإن الأخذ بهيكلية محددة واستخدام أدوات مثل استخدام المرئيات والرسوم ودليل المعلم
- كجزء من المخطط ، كل ذلك يساهم في فهم الطلاب للمنهج ، ويجب الانتباه إلى ضرورة توائم هذه الوسائل المرئية مع سمات الوسط التقني المستخدم ، ومع سمات الطلبة .
- يجب أن يتدرب المعلمون بشكل مناسب على استخدام الجهاز وعلى التقنيات التي تثبت فاعليتها في بيئة التعلم عن بعد ، ويستفيد المتعلمون أكثر من المناهج والحلقات الدراسية عندما يكون المدرس مرتاحاً في تعامله مع تكنولوجيا التعليم .

**الخلاصة :**

أولاً : من المساوي التي تصادف المعلم في التعليم عن بعد هي انه في غرفة الصف التابع لنظام التعليم عن بعد قد يتخذ بعض الطلاب وبعض المواقف مثل الاعتقاد

(١٢٥)

بأن يكون الدرس للمتعة وليس التعلم ، لهذا يجب مع هذه المواقف بطريقة سليمة ومعدة إعدادا جيد للتأكد على التفاعل بين المعلم والمتعلم.

ثانيا: إن المجالات التطبيقية كالفنون والموسيقى والألعاب من الصعب التحكم بطريقة التدريس فيها عن بعد لأن طبيعة تلك المواد تحتاج إلى معاشه بين الطالب والمعلم ، والتواصل بينهما ضروري لتعبئة الروح التخيلية لدى الاثنين.

ثالثا: إن عمليات الالتحام البصرية التي تحتاجها تلك المجالات ما بين المتعلم والمعلم ضرورية يفتقدها نظام التعليم عن بعد... لذلك حتى لو اعتمد المتعلم على ذاتية فلن يصل إلى المستوى الذي يهدف إليه مثل هذا المجال.

رابعا: تلك المجالات تحتاج إلى تقنيه وأجهزة بالغة الدقة والكلفة بحيث تنقل الصورة الحقيقية سواء كانت لونية أو ملمسيه أو حتى ذات حركة ورائحة... لأن طالب الفنون يستخدم جميع حواسه الخمسة في عملية التعلم وهذا لن تستطيع أن تقدمه التقنية الحديثة ولو أنها تقدم جزءا منه فقط.

لذلك ومن خلال الطرح ومن خلال الرؤية التحليلية للأبحاث والدراسات التي تناولت هذا الموضوع وهو التعليم عن بعد أرى بأن هذا النظام ينفذ ودرجات عالية في المجالان النظرية وبشكل فعال ، ويحل الكثير من المشكلات التربوية المعاصرة في الأنظمة التعليمية ، ولكنه لا يستفاد منه إلا بدرجة ضئيلة جدا في دراسة الفنون التشكيلية ، إضافة إلى الكلفة المادية التي تصاحب تطبيق ذلك النظام لكنه شئنا أم أبينا فإننا لا محالة سوف نطبق ذلك النظام لأنه أصبح مطلبا عالميا.

(١٢٦)

#### المراجع

- أحمد أبو شيمه ١٩٩٦ - اقتصاديات مشروعات التعليم عن بعد وبدائل تمويلها - القاهرة
- التعليم عن بعد اليونسكو مصر ١٩٩٦ - اللجنة الوطنية المصرية لليونسكو ، القاهرة - المنظمة الإسلامية والعلوم واللجنة الوطنية المصرية لليونسكو
- سامح سعيد ١٩٩٦ - تكنولوجيا التعليم والتعليم عن بعد في جمهورية مصر العربية ، المنظمة الإسلامية والثقافة والعلوم - واللجنة الوطنية المصرية لليونسكو
- باري و ليز - التعليم عن بعد - استراتيجيات ووسائل التعليم عن بعد - الدليل العلمي.

Chang, Vivian 1998 -Policy Development For Distnce Education , Eric Clearinghouse for Community Colleges Los Angeles CA. -

Ehmann , S. 1995-Moving beyond campus - bound education , Chronicle of Higher education ,U.S.A -

Mielke, Dan1999- Effective Learning in Distance Education , Eric Clearinghouse on Teaching and Teacher Education , Washington DC. -

Matshazi, M. J. 1996-The Role of multichannel learning in national education reform : the South African experiance -

Sherry , L. 1996-Issues in distance Learning International Journal of Education Telecommunications -

www.almiskat.org/arbdoc99/disted/disted.htm -

www.schoolarebia.com/distance\_learning/dalee3 -

www.schoolarebia.com/distance\_learning/dalee8 -

www.schoolarebia.net/tqanyat\_tazalum/ta3lom\_mostakb -

Willis, barry 1992 – Strategies for teaching at a Distance. Eric Clearinghouse on -  
Information Resources Syracuse NY.